Retrospective narration in a novel of Badryah El-Bishr in her novel "Love Stories on al-Asha Street"

Dr. Ashraq Sami Abdel Nabi(*)
The University of Basrah
Basrah and Arab Gulf Studies Center

Abstract:

The novelist, Badryah El-Bishr, recovers articulated stage history that paved the way for what Saudi Arabia is going through and maybe the whole region from religious extremism and returns to fundamentalism or Salafism. The writer reminded back a little in the mid-seventies to describe life in a street of Saudi city, which is the capital Riyadh (its name is al-Asha Street according to the well-known pre-Islamic poet al-Asha who lived in the same valley). In order to summon that life in its complete and convincing way, some had to lean on narrative narration techniques to justify such a return and restore the image of social life through characters suggested by the novel.

Key words: Narration,Novel, Badryah El-Bishr, Love Stories on al-Asha Street.

* Email: Ishraq_dr@yahoo.com

السرد الاستعادي في رواية غراميات شارع الاعشى لبدرية البشر

د. اشراق سامي عبد النبي(*)
جامعة البصرة/ مركز دراسات البصرة والخليج العربي

المستخلص:

تستعيد الروائية بدرية البشر في رواية غراميات شارع الاعشى تاريخ مرحلة مفصلية مهدت لما تمر به المملكة العربية السعودية وربما المنطقة كلها من تطرف ديني وعودة الى الاصولية او السلفية.

تعود الكاتبة الى الوراء قليلا في منتصف السبعينيات لتصف حياة احد شوارع مدينة سعودية وهي العاصمة الرياض (اسمه شارع الاعشى نسبة الى الشاعر الجاهلي المعروف الاعشى الذي سكن في ذات الوادي)، ومن اجل استدعاء تلك الحياة بطريقتها التامة والمقنعة كان لابد من الاتكاء على بعض تقنيات السرد الروائي لتبرير مثل تلك العودة واستعادة صورة الحياة الاجتماعية من خلال شخوص تقترحها الرواية

الكلمات المفتاحية: السرد ، الرواية ، غراميات شارع الاعشى ، بدرية البشر.

* Email: Ishraq_dr@yahoo.com

المقدمة :-

تكتسب الرواية الخليجية الآن أهمية خاصة لا تتمثل فقط في أنها نتاج تجربة إنسانية لها الكثير من خصوصية البيئة وانما ايضا لأنها تقتحم وبجدارة مؤخراً منظومة الثقافة العربية، حيث إن الفن السردي خرج محملا بأجواء محليته لينجح في توظيفها إنسانياً وربما لهذا السبب وبسبب أشياء اكثر تفصيلا أحتلت أسماء روايات خليجية جائزة البوكر العربية في العديد من الدورات، فضلا عن الاهتمام والترجمة والصدى الاعلامي الذي ناله العديد من الانتاج الروائي لكتاب خليجيين.

وهذا هو ما تمثلت به رواية (غراميات في شارع الاعشى) للكاتبة السعودية بدرية البشر، أعني خصوصية المكان والزمان واطالة التأمل سردياً بنمط الناس والثقافة، لذا فهي تتحدث عن منطقة تعرفها جيداً وتدرك كل أبعادها وحين وشجت تلك المعرفة بلغة حلوة الايقاع سلسلة المعنى ذكية الالتقاط، تسنى لهذه الرواية ان تكون شهادة عصر ممتعة عن المملكة العربية السعودية ثقافيا. .

بدرية البشر من مواليد الرياض ١٩٦٧ حاصلة على شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع من جامعة بيروت عام ٢٠٠٥وعنوان دراستها للماجستير كان(تاريخ نجد من خلال حكاياتها الشعبية)، في رواية غراميات شارع الاعشى تجيد الكاتبة تسليط الضوء على تاريخ الحياة في السعودية في المدينة والبادية ايضا من خلال حكايات الشخصيات فيها .

تدور الاحداث في شارع من شوارع الرياض في منتصف السبعينيات من القرن الماضي، حيث الحياة وادعة تسير ضمن ايقاع اجتماعي هادئ ومكفول بالعادات والتقاليد المتوارثة، عزيزة الابنة المتوسطة لأحدى العوائل في هذا الشارع هي الساردة التي تنقل لنا عبر صوتها العديد من المشاهد والافكار والآراء، وهي مغرمة كما تقول بعوالم ثانية عوالم بعيدة عن واقعها في هذا الشارع انها تهوى ان تعيش حياة شبيهة بما تحياه ممثلات السينما المصرية، شغفها بكل ما يرتبط بالهناك جعلها ترتبط بعلاقة عشق غير ناضجة بطبيب مصري تكتشف آخر الرواية أنه ليس ذلك الفارس الذي تصورته في خيالها العاطفي . صوت السرد كان موضوعياً

أو لنقل أنه أحتفظ طوال الرواية بمسافة كافية للتأمل والحيادية وهذا ما يحسب للرواية التي افلتت من فخ الذاتية وتداعيات البوح الذي عادة ما يرتبط بالكتابة النسوية، لاسيما الخليجية . التقسيمات المنهجية للبحث كانت من وحي اقتراحات النص، فقد صنفت الرؤيا الاستعادية السردية للرواية على وفق ما يأتي:

– رؤيا تركز على المكان

– رؤيا تركز على الوصف والحوار

ضمن منهج سردي يميل أحيانا الى التأويل الثقافي والقراءة الدلالية لرواية اختارت الحديث عن الجيل الاكثر اشكالية في عمر السعودية، هذا الجيل الذي رافق المدينة وعاصرها دون ان يكون ابنا ثقافيا منتميا لها بالوعي وبالقدرة .

تستعيد الروائية بدرية البشر في رواية غراميات شارع الأعشى تاريخ مرحلة مفصلية مهدت لما تمر به المملكة العربية السعودية وربما المنطقة كلها من تطرف ديني وعودة الى الأصولية أو السلفية .

تعود الكاتبة إلى الوراء قليلاً في منتصف السبعينيات لتصف حياة أحد شوارع مدينة سعودية وهي العاصمة الرياض(أسمه شارع الاعشى نسبة إلى الشاعر الجاهلي المعروف الاعشى الذي سكن في ذات الوادي) ومن اجل استدعاء تلك الحياة بطريقتها التامة والمقنعة كان لابد من الاتكاء على بعض تقنيات السرد الروائي لتبرير مثل تلك العودة واستعادة صورة الحياة الاجتماعية من خلال شخوص تقترحها الرواية ولعل اول تلك التقنيات كانت اقتناص المكان الدلالي.

حيث إن "معظم انواع الذاكرات تنتج الانتماءات المتعددة التي تحدد انخراط كل فرد بالمجتمع، لكننا نرى بوضوح أن كل من هذه المجموعات الكبرى تنقسم في حد ذاتها الى مجموعات فرعية متعددة فكل عائلة تطور الذاكرة الخاصة بها، لكن المنطق الأبوي يكسب ذاكرات العائلات المختلفة تركيبات مشتركة "[1]و الثقافة الابوية هنا تمثلت بقيم الدين التي

تحركت مع المجتمع ونمت مع نموه ممهدة للكثير من التغيير الذي رافق الشخصيات ونظرتهم للحياة.

تقوم الرواية على سرد قصص متباينة الاحداث والشخصيات تشترك في مكان واحد هو الشارع الذي اختارته مسرحا لها. الترتيب الكرنولجي للرواية مضبوط الايقاع هناك زمن يتجه بتسلسل وهدوء نحو الاحدث ،الشخصية الرئيسة في العمل(عزيزة) هي من تتولى عملية الروي، بلسان راوٍ حاضر يشارك في الاحداث ويتفاعل معها، وتنقل قصص الشخصيات الاخرى بلسان راو عليم يدرك ما بين الصدور،تمهد أحيانا لسردها تلك القصص بملاحظة تسبق سردها تقول: قص علينا حكاية المرأة الغريبة، وفي أحيان أخرى تتولى العملية دون تمهيد او شرح او تبرير،القصص التي ترويها عن ألسنة الشخصيات مستقلة لكل عقدته الخاصة لكن الساردة وبمهارة واضحة تجذب جميع الخيوط باتجاه نسيج واحد يمثله هنا المكان بالمستوى الدلالي الواضح والثقافة بالمستوى الدلالي الاكثر عمقا ..تقنية تشبه ما اطلق عليه الناقد الشكلاني الروسي(فكتور شكلوفسكي) مفهوم" نسق التنضيد للدلالة على تحفيز من نوع خاص يستخدمه الكاتب" يربط القصص المتنوعة برباط واحد "يشبه اسلوب الف ليلة ولية ودون كيشوت "(٢).

اذ تتشابك حكايات الشخصيات مع بعضها ضمن ايقاع متشابه ومتقارب في الفكرة والموضوع والاحساس تنتظم العديد من القصص يمكن تصنيفها وفق التالي.

١- قصة سعد وعواطف ثم تطور شخصية سعد نحو التطرف.

٢- قصة وضحى القادمة من البادية مع اولادها الاربعة وتطورها الى سيدة اعمال وتجارة .

٣- قصة ام جزاع .

٤- قصة عطوى.

٥- قصة ابو فهد وزوجاته.

٦- قصة عزيزة والدكتور المصري .

إن استعادة الماضي القريب وانشاء عالم تخييلي داخل اسواره لابد له من تكنيك سردي مقنع يمنح الرواية أسس الانتماء للكتابة الروائية المبدعة ويطرح وجهة نظر بروية وهدوء وحنكة هذه الاستعادة ليست شيئاً سوى "استعادة رمزية لمجموع العوالم التي تشكل ما يطلق عليه في الادبيات السردية " العوالم الممكنة " فهذه العوالم لا يمكن النظر إليها باعتبارها استعادة حرفية لوقائع (واقعية) مباشرة بل هي بناء ثقافي في المقام الاول "[٣].وقد اختارت الكاتبة بدرية البشر التعامل مع اساليب حددها البحث بما يأتي :

١- اقتناص المكان الدلالي ويمكن ايجاد نوعين من الأمكنة داخل سياق الرواية

أ - المكان الفكرة

ب - المكان العام

أ- (المكان الفكرة):

تبدأ الرواية بالتركيز على (السطح)، يكتسب هذا المكان دلالة خاصة في البيئات الحارة التي يستعين فيها الناس على الاحتماء من السخونة بالنوم على أسطح البيوت أي المكان المرتفع فوق البناء للمنزل، مشهد الاستعداد للنوم في السطح أول مشاهد الرواية الفتاتان ترشان أسمنت السطح بالماء لينفث السخونة فيها مع رائحة يعرفانها تماما، السطح هنا مكان يحمل معه مدلولاً كاملاً، إنه يرتبط بزمن يسبق الكهرباء وأجهزة التكيف كما أنه يرتبط بعادات تقوم على المجاورة وحسن التواصل بين الناس، فكرة السطح ، بوصفه مكاناً تتجرد لترسم صورة الماضي بمشاهد شيقة وحميمية وقادرة على إيقاظ الحواس مثل قولها :

أصعدا الى السطح وافرشا الفرش "

قالت لنا امي بعد الغروب وهي تنهي صلاتها .

عدونا باتجاه سلم المنزل أنا وعواطف التي ملات دلو الماء ورشت غرفات منه وجه السطح الاسمنتي ،فنفث في وجهينا نسمات دافئة كأنها زفرات صدر تعب "[٤].

"يقوم المكان في الرواية – بوصفه عنصراً يتميز بخصوصية – بعدة وظائف في السرد لعل أهمها: تكوين إطار الحدث، وتحريك خيال القارئ لتصور الأمكنة، واستخدام المكان مع

دلالته الرمزية ليكون مؤشرا للأحداث. بيد أن المكان يؤدي دوره البارز–عبر تحولاته المستمرة– في الكشف عن كينونة استمرار اللاثبات، فمن خلال المكان وما يحدث فيه وله يمكن قراءة التاريخ ومستجداته، بكل ما يحمل هذا التاريخ من أبعاد سياسية واقتصادية واجتماعية."(٥).

اعتمادا على تلك التحولات كانت الدلالة الرمزية التي استعملتها الكاتبة في روايتها خصبة وقادرة على توليد الصور والدلالات مُزيحة بسلاسة انماط التصورات الاستباقية للقارئ لتقترح المكان الفكرة القادر على اختزال منظومة متكاملة من الزمن والتقاليد والعلاقات الاجتماعية (السطح) يؤثث لتصور أو " بوصفه شبكة من العلاقات والرؤيا ووجهات النظر التي تتضامن مع بعضها لتشييد الفضاء الروائي، فالمكان يكون منظماً بنفس الدقة التي نظمت فيها العناصر الأخرى في الرواية، لذلك فهو يؤثر بعضها، ويقوّى من نفوذها، كما يعبر عن مقاصد المؤلف"(٦).

لم يكن السطح الذي رسمت حدوده الكاتبة في رواية غراميات شارع الاعشى مكاناً تدور فيه الاحداث فقط دون أن يؤثر ويتأثر بها بل كان وسيلة العشق الاولى التي وجدها الشباب في هذا المكان والزمان، (مدينة الرياض في منتصف السبعينات). سطوح البيوت كانت وسيلة لتبادل الاشارات والكلمات والحب، تبدو عملية ربط هذا المكان بعنوان الرواية التي تؤطر الاحداث لتقول انها: غراميات في شارع ما ..شارع الاعشى بكل مدلول هذا الاسم من حيث الانتماء او من حيث المعنى، فالأعشى شاعر جاهلي معروف، يثير ذكر اسمه الامتداد الطبيعي لثقافة المجتمع الذي تتناوله الرواية مجتمع قبلي بثقافة غارقة في الاعراف الخاصة بها، ومن حيث المعنى ايضا فان اختيار هذا الاسم يبدو لي مثيراً لقضية العشو الليلي، أو فقدان القدرة على الابصار في الظلام." أمسكتني عواطف من يدي وشدتني قائلة: راقبي الجو. تدفقت حرارة الفرح في دمي، فقفزت أذرع السطح ذهاباً وإياباً، أراقب مكامن الخطر بهمة جندي يتسلم مهمته في يومه الأول.. كانت واحدة من بهجاتي، فتوتر اللحظة يدفع شيئاً ما في دمي، يخصني بحدث فريد، يجعلني أكبر وأقوى. ثم غرام آخر تقول عنه عزيزة "أشاهد

رأسين على السطح المقابل لشارعنا، فأعرف رأس فاطمة بنت عمران، وألمحها تلوح بيديها لرأس شاب صغير مثلها على سطح يفصلها عنه منزلان، هذا إذن سلمان الذي أخبرتني عنه".[٧].

ب- المكان العام: المقصود به هنا المكان الذي لا يحمل مدلولاً ثقافياً متكاملاً انه مسرح لعرض المشاهد، اتبعت بدرية الدقة في وصف تفاصيل المكان المفيدة لإثارة تصور القارئ لكن دون مغالاة في التفاصيل، المدينة التي تحدثت عنها الرواية هي الرياض، "والمدن المتخيلة في الروايات الحديثة واكبتها قيم رمزية وايدلوجية مرتبطة بفكرة المكان .كأن تستحضر المدينة مثلا من خلال الجسد"[٨]، أو من خلال أحد الشخصيات في الرواية المدينة التي تحدثت عنها الرواية هي أرض قديمة لها امتداد ضارب في عمق التاريخ لكنها مع ذلك تستعيد شبابها اعتمادا على الانفتاح الاقتصادي وسعياً نحو تصورات حداثية جذبتها، بالمقابل فان الروح العامة لذلك المكان بكل تفاصيله تتجه نحو التطرف في الانتماء ونبذ الاختلاف الفكري ومحاربة أي اقتراح خارج التقاليد والاعراف" هناك صورتان ثقافيتان متضاربتان، وكلتاهما تمثلان سمات بارزة من سمات المرحلة الراهنة، من اكثر السمات الراهنة هو البروز القوي للعرقيات والطائفيات والمذهبيات ومثلها القبائلية "[٩].

شخصية أبو فهد هي التمثيل لهذا التضارب والتصور تلك الشخصية التي تظل تلاحق الفتيات صغيرات السن وتحاول النفاذ الى زهوة شبابهن التي تمثل الحداثة والتمدن وبعد أن تكررت تجاربه الفاشلة في الزواج تسلبه لبه بدوية وتقبل هي بمحبته، فيعود الى وضعه الطبيعي.

"ركب سيارته يسترجع ما سمع عن سحر البدويات، وهو يقع في عشق واحدة منهن ؟ تدفق في قلبه حنين لسماع أغنية يعبر فيها عن حاله الله فى العطشى.....يدخل من الشارع الملتوي متجهاً الى بيته وصوت الحب عالق في أذنه يبتسم وحده في السيارة ويفكر في حبة الخال السوداء ويغني وحده:" ماهقيت ان البراكع يفتنني"[١٠].

تمر الامكنة في حكايات هذه الرواية مروراً عابق الاحساس بكل ما يستدعي تدخل الذاكرة ولهذا فهي تبني علاقة تقوم على المشترك مع القار، بمعنى تبحث دائما عن الاشياء الجمعية الوجود، وليست ذاتية التصور، بشكل يتوافق مع الاستعادة السردية التي تبحث عن الهوية المعتدلة او الوجه الحقيقي.

اجابت الكاتبة في حوار لها عن سر وصفها للاماكن بهذا الاحساس الواقعي العالي فقالت "كنت أشعر وأنا أكتب بأن المكان هو بطلي الحقيقي، لدي ذاكرة قديمة لأماكن وأناس شاهدتهم، وشعرت بأن الرواية قد تكون مسرحا مناسبا لرصدهم وتصور ما كان غائبا منهم ستساعدني المخيلة على إتمامه".

كنت أشم رائحة جدران الطين، وأسمع دفوف العرس فوق السطوح "

ولهذا كانت الاماكن التي تدور فيها أحداث الرواية قادرة على وصف كل ما يتعلق بهذا السرد وصف زمانه وشخوصه وعاداته وفلسفة الناس فيه، طريقتهم في الحب وفي الصلاة وفي العمل.

ولان الرواية هي" فنُّ الإنصات للمكان وحُسْنُ إدارته، فالأزمنة والشخصيات– على حدّ ما يقول النقّاد– لا تُكوِّن روايةً إلاّ متى عَضَدَها حدثٌ مَّا، والحدث لا يتمّ إلاّ في مكان ماديّ أو مُتخيَّل. وعليه، فإنّنا لا نعني بالإنصات للمكان وحُسنِ إدارتِه توصيفَه ومَلْءَ كيانه بالأحداث وإجراءَها فيه بكثير من المفعولية، وإنما نعني بهما الوعيَ بكينونته داخل الحكاية؛ وهي كينونة تُخوّل للمكان أن يُعرِبَ عن فاعليته في توجيهِ حركة الشخصيات ومنحِ الأشياءِ فيه دلالاتٍ جديدةً"(١١).

تصف الساردة الشارع بالكثر من موضع في الرواية فتقول :

"اطلت على شارع الاعشى من كوة جدار للسطح، كأنما اطل على صندوق الدنيا اشاهد عزوز ابن الجيران يركب دراجته وفي يده علبة من عصير suntopيرن جرس دراجته والتفت يمينا ويسارا ثم يمضي بعيدا. موضي ابنة الجيران تطل من فتحة بابهم فتسكب دلوا من الماء المتسخ ، ونلقي نظرة فضولية يمينا وشمالا فلا ترى احد ، ثم تغلق الباب، خالة عويشة ام

سعد تطل من بابها وبيدها مكنسة تكنس ركام منزلها ثم تدفعه وترمي ترابه في الشارع وتكنس بعده عتبة الباب وهي تغطي وجهها ثم تعود وتغلق الباب"(١٢).

وصف المكان هنا كان وصفاً حياً متحركاً مسكوناً بالأصوات والوجوه وبعض العادات المرتبطة بالماضي الذي حاكته الكاتبة وحاولت أن تصل معه الى أجوبة لأسئلة تلح على أيامنا المعاصرة.

"في الصباح استيقظت حارتنا على شعاع شمس بيضاء دافئة بيوتها الطين تتمطى في جوف واد جف ماءه يتمدد جنوبا ، بينما تنهض ربوة ترابية غربا، مثل حدبة عملاق يحملها فوق ظهره حجبت عنا الشارع الطويل والحياة القائمة خلفه ، وينفتح بطن الوادي على شارع اسفلتي طويل تسمى باسم شاعر جاهلي قديم ولد وعاش ومات هنا اسمى الاعشى "(١٣).

٢-استعادة بتوظيف الحوارات

الحوار عنصر هام من التشكيل الروائي في العادة يتكفل الحوار بإدارة الترسيمة الثقافية والاجتماعية للشخصية ووصف أبعادها النفسية، كما يتولى سرد الحوادث بطريقة موجزة ومكثفة، الحوار الذي يجري على ألسنة الشخصيات لابد أن ينسجم مع رؤاهم الخاصة والظروف العامة التي تحيط بهم لذا فان التركيز بطريقة توظيفه هنا في رواية غراميات شارع الاعشى، من متابعة أولية للمشاهد التي تعتمد على الحوار يظهر بوضوح ذلك الابتسار والإيجاز في استعمال المفردات.

الحوارات في الغالب خارجية ومكثفة وممتزجة بالوصف "ففي هذا النوع تدور عين المحاور بطيئاً ،فهي عينٌ متأمَّلة للأشياء والحالات، ولها القدرة في الوصف العميق وإبداء الرأي وتحديد وجهة نظر جليّة ،كذلك تُعبَّر " عن موقف أو التزام أو معارضة لذا يؤكّد تودوروف: أنَّ الحوار المركّب هو" حوار عميق يستدعي الشرح والتأويل ، ويعتمد الحجة والبرهان ، ويهدف الى الإقناع، وإثبات وجهة نظر، لأنَّه يُبرز الحجة والأسلوب" (١٤).

ليست هناك حوارات طويلة في هذه الرواية وربما لهذا السبب جاءت أغلب الحوارات مناسبة للشخصية من حيث الحدود المرسومة لها نفسياً واجتماعياً وثقافياً، أي ما يسمى(بالأسبلة)

التي تعني الحديث عن كل شخصية بأسلوبها كان ناجحاً إلى حد بعيد فالكاتبة أعطت لكل شخصية حقها بالكامل، سواء في اختيار مفرداتها التي تتناسب مع البيئة مثل البدوية التي لا تتحدث بلهجة أهل الحواضر،وبوعيها وبنمط الحياة، فللنساء لغة خاصة، تختلف عن تلك التي يستعملها الرجل في حواراتهم، أغلب الحوارات تكون على شكل إجابة للوصف الذي يسبقها أو تمهد لها بعرض ما، ورصد للمشاعر، مع الحفاظ على مسافة متوازنة لصوت السارد الضمني هنا بعض ويمكن اجمال اهم سمات الحوار في الرواية بالنقاط التالية :

إن الحوار عامة بغض النظر عن لغته المستعملة هو" العامل الديناميكي القادر على كسر رتابة السرد وجذب القارئ إلى عالم النص، فضلا عن ذلك فان الحوار عامل رئيس في إظهار قوة البنية السردية في الرواية مشتركاً مع غيره من عناصر القص كالوصف و الزمان و المكان و الشخصيات و غيرها .. فضلا عن قدرة الحوار من خلال لغته الخاصة في أن يكون المرآة الحقيقية في الكشف عن ترسخ البيئة و حضورها في النص الروائي إلى جانب ما يظهر من عادات و تقاليد و موروثات شرعية و غير شرعية قد تكون واضحة بوضوح اللغة أو عكس ذلك تماما "(١٥).

وبما ان" الحوار أداة طيعة في رسم الشخصيات و الكشف عن طبيعتها و موقعها فضلا عن شرح الأحداث و تطويرها "(١٦).

فقد جاء استعمال اللهجة السعودية مناسباً تماماً للإبقاء على الروح المحلية التي تبنت هذه الرواية قضيتها، أنها تلتصق بواقعها وتتماهى معه وتتبادل رسائل التأثير بكل ما يحيط هذه البيئة من بنى قيمية وثقافية، ولطالما شغلت مسألة الحوار الفصيح أو العامي النقاد والدراسين المختصين بالرواية فبين مؤيد للفصاحة وآخر مناد بإظهار التميز والخصوصية المحلية وقد تباينت آراء النقد العربي الحديث، ولكن ماذا ننتظر نحن من رواية تنقل لنا عوالم خاصة من حيث الزمان والمكان والشخصيات والثقافة، نتحدث هنا اذن عن رواية محلية التصميم ، لذا فقد كان استخدام اللهجة مثرياً للموضوع العام الذي تطرحه الرواية فضلا عن اضافته النوعية لتكنيك الكتابة

٣_ **تضمين الاحساس الخاص باستعادة الحوادث** مثل الحوار حول التلفزيون الملون والهاتف واجهزة التبريد: " وقفت عفاف الصغيرة فوق رؤوسنا تلهث ثم صاحت

_ ملون ملون

ثم عاودن تركض هابطة الى الاسفل، هبطنا الدرج نركض خلفها، فوجدنا أبي يحمل تلفزيونا جديداً اخرجه من صندوق كارتوني كبير، ووضعه مكان تلفزيوننا القديم الصغير ثم قال لأمي: ناوليني المنشفة التي في يدك ومسح بها شاشته الزجاجية السوداء المغلقة، ثم ضغط زرا على جانب الصندوق فظهرت صورة نراها للمرة الاولى "(١٧).

"تبدو مسألة التفاصيل في الرواية، مسألة مهمة وضرورية لدى الكثير من النقاد لأنها تسهم في عملية "الايهام بالواقعية " فالتفاصيل هي بنيات صغيرة جزئية تترابط وتتلاحم وتتراكم لتشكل عالما روائيا مقنعا وربما مشوقا "(١٨).

تبحث الكاتبة بدرية البشر في أرشيف ثري وعابق بالتفاصيل، فالحياة التي تسارعت خطوات التغيير فيها أثناء هذه الفترة ولدت الكثير من التفاصيل الصغيرة واليومية والمحملة بعطر زمن معين، منها مثلا ذكريات الاسرة بدخول جهاز تلفزيون ملون، أو أجهزة التكييف، أو الهاتف الارضي ومدى الاضافة او التغيير الفعلي الذي تركه على يومياتهم.

"صار الهاتف، ولوقت طويل، مثل ضيف غريب، استقبلناه في مجلس الرجال لكننا تركناه يجلس وحده هناك عاملناه باحترام شديد مبالغ فيه فصار لا يدق ألا نادراً ولا يعرف استخدامه الا الرجال وظلت أمي تتجنبه مثل رجل غريب وتنهانا عن الرد عليه خوفا من أن يكون المتصل رجلا "(١٩).

التفاصيل الصغيرة هذه ذاتها نقلت بمسافة كافية من الموضوعية وبعد النظر التبدل الذي طرأ على المجتمع السعودي، ذلك التبدل الذي ولد تدريجياً ما يعرف الان بالتطرف، فالبيئة الصحراوية رغم ثقافتها المتحفظة نسبياً لكنها كانت قابلة للحوار والتعايش مع المختلف تعايشاً لا يخاف من التأثر والتأثير ويمنح فرصة كافية للحوار.

تركز الساردة على الفن المصري باعتباره بوابة لعالم اخر ومختلف وفيه مساحة حرية عالية وتركيز على كل ما يشجع على الحياة كالحب والموسيقى والجمال الذي يرتبط عندها بفاتنات السينما العربية من الممثلات وازيائهن الجميلة، في المقابل شجعت الثقافة المضادة التي تبنتها الردة القوية نحو الاصوليات على كل ما يتعلق بالموت من حياة ثانية وثواب وعقاب وخوف والتباس الرؤية .

"أن التفصيل غير المفيد يبدو، أذا نظرنا ليه من جهة البنية مزعجاً بل يبدو افرازاً لترف سردي وهو ما دعا بارت الى التساؤل عما اذا كان كل شيء في القصة ذا معنى، وأذا لم يكن الامر كذلك فما دلالة انعدام المعنى؟ فمفهوم (أثر الواقع) الذي أستخدمه رولان بارت على جزئيات أو تفاصيل تذكر في سياق الوصف، أو الحوار ويستحيل على التحليل السردي مهما بلغت درجة شموله أن يسند اليها أية وظيفة تبرر ذكرها في القصة "(٢٠).

٤ _الوصف الملغوم دلاليا

استعادة بالاتكاء على حوادث تاريخية:

العودة الى الماضي سردياً طريقة فنية مستعملة بكثرة في كتابة الرواية العربية، ليس الماضي بوصفه تاريخاً ثابت المعالم موثق الاحداث وانما بوصفه أزمنة وأمكنة تفتح أفق الحديث عن المزاج الثقافي العام، وفي الغالب لا يكون هذا الاتكاء بريئا، واذا أردنا التعديل على هذه الجملة بان ليس من وجود لأدب بريء ابداً ،فأننا سنفترض وضوح الرسالة الضمنية في مثل أنواع هذا السرد "في السياق المنطقي الذي عادة ما يبرِّر العودة إلى التاريخ بتمثله سردياً هو احتمالات الحاضر وتنبؤات المستقبل وذلك بإعادة صياغة الحدث التاريخي وقراءته مجدداً وفق رؤيا معاصرة. فشخصيات التاريخ الرسميَّ أو الشعبي(الذاكرة الشفاهية) لها افتقاد في الحاضر وتُستدعى في بعض منعطفات الشعوب لسّد فراغ ما قد تحدثه المفارقات الزمانية، ولكنها لا تكون بحال أحياءً لمكوناتها الشخصية و أبعادها النفسية. " (٢١).

حين تباغت الناس ظاهرة ما فان اولى وسائل التحليل المنطقي لها يتمثل بالعودة الى جذورها، السؤال متى بدأت ولماذا ، حتى تشخيص الطبيب لحالة مرضية ما يستدعي قراءة متأنية لما يسمى(التاريخ الطبي للعائلة)

أرادت غراميات شارع الاعشى أن تقيس مدى نمو نبتة غريبة تسمى التطرف ضمن هذا المكان من خلال أكثر من ثلاثين عاماً مضت، فكانت الرواية هناً تمثيلاً سردياً يستعيد تفاصيل الحياة الخاصة لبعض العوائل ضمن اجواء تاريخية عامة .

"لم يكن توظيف الفكرة، بدرجة فاعلة، في موضوع تمثيل النصوص السردية لمرجعياتها فاستناداً إلى هذا التصور،تقوم تلك النصوص بتمثيل المرجعيات على وفق درجات متعاقبة في إيحاءاتها، فكلما أنتجت علامة، أصبحت بدورها حافزاً لإنتاج علامة أخرى، ضمن نسق آخر• لا يتحدد التمثيل بسطح النص السردي، إنما يتخطاه إلى إعادة تشكيل متنوعة، وذات مستويات متعددة، للعوالم والمرجعيات الثقافية بما يمكن اعتباره تشكيل نصية لها، يتم فيه تجاوز الوقائع والأحداث إلى تمثيل دلالاتها العامة، والعلامات الدالة في تلك النصوص تتضافر من أجل خلق عوالم نصية متخيلة، تناظر عبر عملية التمثيل التي بيناها العوالم المرجعية•"(٢٢).

"يؤكد (ايكو) في معرض تعليقه على اسم الوردة(١٩٨٨)،على أهمية البحث التاريخي في بناء عالم مفصل، وخلق شخصيات تنتمي حقا إلى الزمان والمكان. وبشكل أكثر تحديداً، يقول إن الروائي يمكن أن يمثل "الماضي الذي لم تحدثنا عنه كتب التاريخ بوضوح [و] أن يجعل التاريخ، الذي حدث، أكثر فهماً، وأن يحدد في الماضي الأسباب التي قادت إلى ما حدث لاحقاً وأن يتتبع أيضاً العملية التي من خلالها بدأت تلك الأسباب تنتج آثارها ببطء"(٢٣).

تقيم الكتابة الأدبية، عبر التخييل والأسلوب والرؤية الجمالية، علاقة جدلية مع التاريخ، لا بوصفه عالماً قائماً بل بوصفه عالماً ممكناً هو الماضي والراهن والمستقبل .

والحقيقة الأدبية هي في جزء منها حقيقة تاريخية ،والموضوع الأدبي موضوع تاريخي من حيث الماهية والوظيفة "لأن التاريخ هو المجتمع ذاته كتعيين أنطولوجي قائم بين الأدب والحياة ،على أساسه لا يغدو الأدب متعاليا ولا كليا، ولا يصبح مفهوم التاريخ مثالياً أو ميتافيزيقيا،ما دامت تقاليد السرد في التاريخ قادرة على تجاوز التقابلات الكلاسيكية بين الحقيقة والتخييل، ومنحنا إمكانية معرفة السبل التي يشبه فيها التاريخ التخييل أو يختلف عنه؛ وفي حالة الاعتراف أن هناك اختلافا بيناً بين الأحداث الواقعية والمتخيلة،على هذا الاختلاف هو الصفة الوحيدة التي تميز التأريخ عن المتخيل ؟"(٢٤).

تميل بدرية البشر الى العودة الى استعمال الحوار بطريقة موجزة ومبتسرة لكنها تطيل الوصف لكثير من التفاصيل الصغيرة التي واجهت الحياة الاجتماعية آنذاك .

"تدعو أمي جاراتها من اجل قهوة الموقد الشتائي فيتحلقن حوله، بينما ينفث الجمر دفئه ورائحته في المكان، ترمي أمي، حين تزورنا جاراتها قطعة من البخور في الجمر فتفوح في المنزل كله رائحة شذية مميزة لا نشمها عادة الاحين يزورنا أحد أو في غرفة أبي مساء الخميس "(٢٥).

وتتركز معظم الذكريات او الحياة التي تستعيدها الكاتبة حول فكرة يمكن ايجازها بان التطرف لم يكن سمة ملازمة لهذا المجتمع، لذا فهي تحرص على انتقاء المشاهد التي توضح ذلك خاصة من خلال مفاصل معينة مثل(المذياع او التلفزيون او متابعة الاغاني...الخ"(وحين تظهر سميرة توفيق تغني في التلفزيون(بالله صبوا هالكهوة وزيدوها هيل)يخرس كل من في البيت ويرفع صوت التلفاز عاليا فلا يسمع الا صوتهما، ويدوخ ابي في عذاباته واشواقه عندما تقوم بحركتها الشهيرة فتغمز بعينيها والكاميرا تقترب من خدها الابيض ذي الشامة السوداء"(٢٦).

" لا يفهم التاريخ– بالنسبة للنص– إلا في إطار العلاقة التي يقيمها هذا الأخير مع" الحقيقة " السياقية، سواء أكانت لفيفا من الأحداث والوقائع، أو أطوارا من حياة ماضية يكتسب التاريخ فيها معنى: ما تحقق في الزمن وتواشج مع تجارب الوجود. ولذلك، فإن تسمية الزمن قرينة

مباشرة لتقريب الصلة بين النص والتاريخ، إنها ميثاق إحالة لنقل الحقيقة المفترضة إلى دائرة الحقيقة القابلة للتصديق مهما تباعد الحاضر عن الماضي"[٢٧].التاريخ القريب او المعاصر للمملكة العربية السعودية حاولت ان تختصره الروائية بدرية البشر من خلال هذه التفاصيل الحياتية الاجتماعية التي نقلتها ضمن سياقها وبلغة تنتمي للزمان والمكان والوعي والثقافة .

تلخيص :

كل عودة الى الماضي هي في الغالب عودة للبحث عن الهوية اعادة قراءتها على مهل ومحاولة فهمها والتوصل ضمن سياقاتها لفهم ووعي اكبر.

السرد في رواية غراميات شارع الاعشى ادعى انه سرد محايد ويبتعد عن غواية المشاعر العاطفية التي عادة ما ترتبط بمثل هذا النوع من الكتابة اي التي ترتبط بتاريخ الشعوب، هناك أيضا مسافة من وعي بقيت مفتوحة لاستيعاب كل انواع التغيير والخيبات والتطور،هذه المسافة احتاجت إلى طريقة سردية خاصة للدخول الى عوالمها ومنها بالطبع ما اشرنا اليه ضمن تقسيم هذه الدراسة (المكان والحوار والوصف) .

الهوامش :

١–السرد الروائي وتجربة المعنى ،سعيد بنكراد ،المركز الثقافي ،الطبعة الاولى ٢٠٠٨.

٢–في الرواية العربية الجديدة، فخري صالح، منشورات الاختلاف وناشرون ،٢٠٠٩ طبعة اولى ص١٢٧ .

٣–سوسيولجيا الدين: دانيال هيرفيه، جان بول ويلام، ترجمة درويش الحلوجي المجلس الاعلى للثقافة مصر ٢٠٠٥. ص ٢٦٤ .

٤–رواية غراميات شارع الاعشى بدرية البشر، دار الساقي بيروت ، ٢٠١٣،ص١.

٥–دلالات المكان الروائي في ثلاث روايات عُمانية معاصرة رواية المرأة نموذجًا مجلة نزوى العمانية العدد الحادي والسبعون .

٦–بنية الشكل الروائي المركز الثقافي العربي بيروت ،١٩٩٠حسن بحراوي ص٣٣ .

٧–الرواية ص ٨ .

٨–الرواية العربية بين الواقع والتخييل، رفيف صيداوي ، دار الفارابي لبنان،٢٠٠٨، ص١٥٤.

٩-القبيلة والقبائلية او هويات مابعد الحداثة،عبدالله الغذامي،المركز الثقافي العربي الطبعة الثالثة ٢٠١١،ص٧.

١٠-الرواية ٢٧٨.

١١-هندسة المكان الزائل في المتخيل الروائي،عبد الدائم السلامي، المدن جريدة الكترونية مستقلة،٨/٢١ /٢٠٠٥.

١٢-الرواية ص١٢ .

١٣-الرواية ص١٥ .

١٤-توظيف لغة الحوار فى بنية الخطاب السردي، المؤتمر الثاني للقصة بعنوان ٢٠١٤: خصوصية الخطاب عند كتاب الصعيد في مصر ، محمد رمضان الواحاتي دراسة منشورة في موقع على النت

١٥-المصدر نفسه .

١٦-البناء الفنى لرواية الحرب فى العراق/عبد الله إبراهيم/ دراسة لنظم السرد و البناء فى الرواية العراقية ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ط١ ، بغداد ، ١٩٨٨ ،

١٧-الرواية ، ص١٠.

١٨-انماط الرواية الجديدة ،شكري عزيز ماضي ،عالم المعرفة ،الكويت ،٢٠٠٨ .

١٩-الرواية، ٩٥.

٢٠-معجم السرديات ،محمد القاضي واخرون، دار محمد علي للنشر تونس ،٢٠١٠ص ١٤.

٢١-التفسير السردي للتاريخ، رواية آخر السلاطين لمنصور الصويم، ناصر السيد نور،مقالة منشورة في جريدة الزمان ،٢٠١٤/٩/١٣ .

٢٢-مفهوم التمثيل السردي ،عبد الله ابراهيم ، جريدة الرياض ،٤ يونيو ٢٠٠٩.

٢٣-مابعد الحداثة ، اماني ابو رحمة ، موقع الكتروني .

٢٤-الرواية والتاريخ ،عبد الفتاح الحجمري، موقع سعيد بنغراد على النت .

٢٥-الرواية، ص٩١ .

٢٦-الرواية، ص ٥٥ .

٢٧-الرواية والتاريخ .

المصادر

١ _انماط الرواية الجديدة ،شكري عزيز ماضي ،عالم المعرفة ، الكويت ،٢٠٠٨*
٢-البناء الفنى لرواية الحرب فى العراق /عبد الله إبراهيم/ دراسة لنظم السرد و البناء فى الرواية العراقية ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ط١ ، بغداد ، ١٩٨٨ ،
٣-بنية الشكل الروائي المركز الثقافي العربي بيروت ،١٩٩٠حسن بحراوي ٣٣ .
٤-التفسير السردي للتاريخ، رواية آخر السلاطين لمنصور الصويم، ناصر السيد نور، مقالة منشورة في جريدة الزمان ،٢٠١٤/٩/١٣ .
٥-توظيف لغة الحوار فى بنية الخطاب السردي، المؤتمر الثاني للقصة بعنوان٢٠١٤: خصوصية الخطاب عند كتاب الصعيد في مصر، محمد رمضان الواحاتي دراسة منشورة في موقع على النت.
٦-السرد الروائي وتجربة المعنى ،سعيد بنكراد ،المركز الثقافي ،الطبعة الاولى ٢٠٠٨.
٧-دلالات المكان الروائي في ثلاث روايات عُمانية معاصرة رواية المرأة نموذجًا مجلة نزوى العمانية العدد الحادي والسبعون .
٨-الرواية العربية بين الواقع والتخييل ، رفيف صيداوي ، دار الفارابي لبنان،٢٠٠٨ .
٩-الرواية والتاريخ ، عبد الفتاح الحجمري ، موقع سعيد بنغراد على النت.
١٠-غراميات شارع الاعشى ،بدرية البشر ،دار الساقي بيروت ٢٠١٣.
١١-القبيلة والقبائلية او هويات مابعد الحداثة،عبد الله الغذامي، المركز الثقافي العربي الطبعة الثالثة ٢٠١٣.
١٢-مفهوم التمثيل السردي ،عبد الله ابراهيم ، جريدة الرياض ،٤ يونيو ٢٠٠٩.
١٣-مابعد الحداثة ، اماني ابو رحمة ، موقع الكتروني.
١٤-معجم السرديات ،محمد القاضي واخرون، دار محمد علي للنشر تونس ،٢٠١٠ص١٤-٢٠.
١٥-هندسة المكان الزائل في المتخيل الروائي، عبد الدائم السلامي،المدن جريدة الكترونية مستقلة،٨/٢١ /٢٠٠٥.